أسماءُ كلمةِ التوحيد

في القرآنِ المجيد

تأليف

محمد بن إسماعيل المقدم

عفا الله عنه

توزيع

دار الخلفاء الراشدين

دار الفتح الإسلامي

حقوق الطبع محفوظة

: أسماء كلمة التوحيد في القرآن المجيد
: الدكتور محمد إسماعيل المقدم
: ١٢×١٧ سم
: ٤٨ صفحة
: ١
: ١٤٣٦هـ - ٢٠١٤م
: الأولى

دار الخلفاء الراشدين

الإسكندرية أبو سليمان ش عمر أمام مسجد الخلفاء الراشدين
الإدارة: ٠١٠٠٦٧١٤٧٦٨ - المبيعات: ٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيرًا ونذيرًا بين يدي الساعة.

من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فإنه لا يضر إلا نفسه، ولا يَضُرُّ الله شيئًا.

اللهم صل على محمدٍ عبدِك ورسولِك النبيِّ الأُمِّيِّ، وعلى آل محمدٍ وأزواجِه وذريتِه، كما صليتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمدٍ النبيِّ الأميِّ، وعلى آل محمد وأزواجه وذريته، كما باركتَ على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد.

أما بعد :

فإن «لا إله إلا الله» كلمة التوحيد أمرها عظيم، وخَطْبها جسيم، وشأنها جليل، كلمة على الله كريمة، ولا يوجد

في الوجود كلمة أصدق ولا أشرف ولا أعظم ولا أقدس منها، ولا توجد في الدنيا ولا في الآخرة كلمة ثبت لها من الفضائل ما ثبت لها، فهي كلمة مباركة، كثرت معانيها، فتعددت أساميها، وفي هذا المختصر[1] نحاول تتبع ما أُطلق عليها من الأسماء الشريفة المستمدة من القرآن المجيد كلام المَلِكِ الذي هو مَلِكُ الكلام.

وَالله تعالى من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(١) وهو اختصار الفصل الأخير من كتابي «الكلمة المقدسة».

(١) الطيب من القـول

قال الله -تعالى- في شأن المؤمنين: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ [الحج:٢٤].

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: ﴿وَهُدُوٓاْ﴾ أُلهِمُوا.

قال ابن جرير: «وقولُه: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ يقولُ تعالى ذكرُه: وهَداهم ربُّهم في الدنيا إلى شهادة أن لا إلهَ إلا الله.» ا هـ.

وأي كلمة توجد أطهر وأطيب من هذه الكلمة؟! وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾ [التوبة:٢٨]. ثم إن النجاسة الحاصلة بسبب كفر سبعين سنة تزول بسبب ذكر هذه الكلمة مرة واحدة.

وقال السعدي: «وهُدوا إلى الطيب من القول الذي أفضلُه وأطيبه كلمة الإخلاص، ثم سائر الأقوال الطيبة التي فيها ذكر الله، أو إحسان إلى عباد الله» ا هـ.

(٢) القول الثابت

قال -عزَّ وجلَّ-: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم:٢٧].

قال الطبري -رحمه الله-: «يعني -تعالى ذكرُه- بقولِه: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾: يحقِّقُ اللهُ أعمالَهم وإيمانَهم ﴿ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾. يقولُ: بالقولِ الحقِّ، وهو فيما قيل: شهادةُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأن محمدًا رسولُ اللهِ».

وعن البَراء بن عازب -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إذا أُقعد المؤمنُ في قبره أتاه آتٍ، ثم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فذلك قوله ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ﴾** [متفق عليه].

وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ -رضي الله عنه- قال: شهِدْتُ مع رسولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- جِنازةً فقال: «**يا أيُّها الناسُ، إنَّ هذه الأمةَ تُبتلَى في قُبورِها، فإذا الإنسانُ**

دُفِنَ فتَفَرَّق عنه أصحابُه، جاءه ملَكٌ في يدِه مِطراقٌ فأقعَده، قال: ما تقولُ في هذا الرجلِ؟ فإنْ كان مؤمنًا قال: أشهَدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأن محمدًا عبدُه ورسولُه. فيقولُ: صدَقْتَ. ثم يُفْتَحُ له بابٌ إلى النارِ، فيقولُ: هذا كان منزِلَك لو كفَرْتَ بربِّكَ، فأمَّا إذ آمنْتَ فهذا مَنْزِلُك. فيُفْتَحُ له بابٌ إلى الجنةِ، فَيُريدُ أن ينهَضَ إليه، فيقولُ له: اسْكُنْ. ويُفْسَحُ له في قبرِه، وإن كان كافرًا أو مُنافقًا، يَقولُ له: ما تقولُ في هذا الرجلِ؟ فيقولُ: لا أدْرِي، سَمِعْتُ الناسَ يقولون شيئًا. فيقولُ: لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ[1] ولا اهْتَدَيْتَ. ثم يُفْتَحُ له بابٌ إلى الجنةِ، فيقولُ: هذا مَنْزِلُك لو آمنْتَ بربِّك، فأما إذْ كَفَرْتَ به، فإن اللهَ -عزَّ وجلَّ- أبدلَك به هذا. ويُفْتَحُ له بابٌ إلى النارِ، ثم يَقْمَعُه قَمْعَةً بالمِطْراقِ، يسمَعُها خلْقُ اللهِ كلُّهم غيرَ الثَّقَلَيْنِ». فقال بعضُ القوم: يا رسولَ اللهِ، ما أحدٌ يقومُ

(١) «لا دَرَيتَ ولا ائْتَلَيتَ» قال ابن الأثير: أي: ولا استطعتَ أن تدري، يقال: ما آلوه، أي: ما أستطيعه، وهو افتعلت منه، والمحدِّثون يروونه: «لا دريت ولا تليت»، والصواب الأول» اهـ. من «النهاية» (١/ ٦٢، ٦٣)، وانظره: (١/ ١٩٥).

عليه مَلَكٌ في يدِه مِطراقٌ إلا هِيلَ[1] عندَ ذلك. فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم -: «﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾».

وعن طاوس، عن أبيه: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ قال: لا إلـهَ إلا اللهُ، ﴿ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ : المسألةُ في القبر.

﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ قال عكرمة: عن تلك الشهادةِ، فلا يَهتدون أبدًا.

(٣) القول الصواب

قال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبأ:٣٨].

عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: في قولِه: ﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾. يقولُ: إلا مَن أذِن له الربُّ بشهادةِ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وهي مُنْتَهَى الصوابِ.

(١) **هيل**: رأى تهاويل ففزع منها. «اللسان» (هـ ى ل).

وعن أبي صالح، وعكرمة: ﴿ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ قال: «لا إله إلا الله».

وقال ابن كثير: ﴿ وَقَالَ صَوَابًا ﴾، أي: حقًّا، ومن الحق: «لا إله إلا الله».

(٤) القول السديد

قال -سبحانه-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [الأحزاب:٧٠].

روي عن ابن عباس في قوله -تعالى-: ﴿ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ قولوا: «لا إله إلا الله»، وكذا قال عكرمة.

(٥) كلمة التوحيد

تدور مادة (وحد) على الانفراد والاختصاص، فتوحيد الله -تعالى- معناه: إفراده بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «التوحيد هو العلم بأن الله واحد».

ومعنى العلم بأنه -تعالى- واحد: أنه المنفرد الذي لا يشبهه شيء، ولا نظير له، ولا مثيل.

والتوحيد شامل لانفراد الله -تعالى- بالأسماء الحسنى والصفات العليا التي لا يماثله فيها مخلوق أبدًا، وبأفعاله المتعدية كالخلق والرزق والتدبير، وباستحقاقه للعبادة وحده دون من سواه.

وسميت «لا إله إلا الله» بكلمة التوحيد، لأنها تدل على نفي الشرك على الإطلاق، قال -تعالى-: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ ثم قال بعدها مباشرة مبينًا التوحيد المطلق: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

وقد شاع في السُّنة النبوية الشريفة استعمال الفعل (وحَّد) بمعنى أتى بشهادة أن لا إله إلا الله، فقد روى مسلم بسنده عن أبي مالك عن أبيه؛ أنه سمع النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**من وَحَّد الله، وكفر بما يُعبد مِن دون الله، حَرُمَ مالُه ودمُه، وحسابُه على الله**» الحديث.

وفي رواية: «**من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله**» الحديث.

وروى مسلم بسنده عن ابن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**بُني الإسلام على خمسة: على أن يُوَحَّد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج**».

وفي حديث عمرو بن عبسة -رضي الله عنه- أنه سأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: آلله أرسلك؟، قال: «**نعم**»، قلت: بأي شيء أرسلك؟ قال: «**بأن يُوَحَّدَ الله، ولا يُشْرَكَ به شيء، وكسرِ الأوثان، وصلةِ الرحم**» الحديث.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن ينحر مائة بَدَنَة، وإن هشام بن العاص نحر حصته خمسين بدنة، وإن عَمْرًا سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن ذلك، فقال: «**أما أبوك فلو كان أقرَّ بالتوحيد، فَصُمْتَ، وتصدَّقْتَ عنه؛ نفعه ذلك**».

وعن أبي رافع -رضي الله عنه- قال: ضحَّى رسول الله

-صلى الله عليه وآله وسلم- بكبشين أملحين مَوْجِيَّينِ خصِيَّينِ، فقال: «**أحدهما عمن شهد بالتوحيد، وله بالبلاغ، والآخر عنه وعن أهل بيته**»، قال: فكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد كفانا.

وفي حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: «فيَذبح أحدَهما عن أمته ممن أقر بالتوحيد، وشهد له بالبلاغ، ويَذبح الآخَرَ عن محمدٍ وآلِ محمد».

(٦) الدين الخالص

قال -تعالى- : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٢، ٣][1].

(١) وقد ورد إخلاص الدين لله -عزَّ وجلَّ- في عدة مواضع من سورة الزمر كهذه الآية، وكقوله -عزوجل-: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:١١]، وقوله -تبارك وتعالى-: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ [الزمر:١٤]، حتى سماها بعضهم اجتهادًا: سورة الإخلاص الكبرى.

وروى الطبري عن قتادة: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ قال: «شهادة أن لا إله إلا الله».

(٧) كلمة الإخلاص

عن عبد الرحمن بن أبزى قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصبح قال: «**أصبحنا على فطرةِ الإسلام، وكلمةِ الإخلاص، ودين نبينا محمدٍ -صلى الله عليه وسلم-، وملةِ أبينا إبراهيمَ، حنيفًا مسلمًا، وما كان من المشركين**»، وإذا أمسى قال: «**أمسينا على فطرة الإسلام**» الحديث. وفي لفظ: «كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يُعَلِّمُنا إذا أصبحنا: أصبحنا على فطرة الإسلام..» الحديث وفي آخره «وإذا أمسينا مثل ذلك».

وكان -صلى الله عليه وسلم- يقول في دُبُر الصلاة: «**لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره**

الكافرون».

إن أول ما أمر الله تعالى به الناس في القرآن الكريم هو ما تضمنه قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:٢١].

وهو أمر بإخلاص العبادة لله وحـده، إذ الإخلاص هو الدين الذي بعث الله به رسله أجمعين، فكان محورَ دعوتهم ولُبَّها، قال -عزَّ وجلَّ-: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ الآية [البينة:٥]، وقال جل وعلا: ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر:٢،٣]. فحصر الخضوع لله، ودل على أنه لا إله سواه، ولا معبود بحق إلا إياه، وقال -سبحانه-: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر:١١]، وقال -تعالى-: ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ۝١٤ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ [الزمر:١٤، ١٥].

وقال -تعالى- : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر:٦٥].

قال سعيد بن جبير -رحمه الله-: إذا قرأت ﴿ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [غافر:١٤] فقل: «لا إله إلا الله»، وقل على أثرها: «الحمد لله رب العالمين» ثم قرأ هذه الآية: ﴿ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

ومدار الإخلاص في كتب اللغة على الصفاء والتميز عن الأوشاب التي تخالط الشيء، يقال هذا الشيء خالص لك: أي لا يشاركك فيه غيرُك.

والإخلاص في تحقيق كلمة التوحيد أن تصفوَ العبادة لله وحـده، وأن تخلص من كل شوائب الإشـراك مع الله -تعالى-، قال -عزَّ وجلَّ- مخاطبًا أهلَ الكتاب: ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾ [البقرة:١٣٩]، فإخلاص المسلمين أنهم قد تبرؤوا مما يدعيه اليهود من التشبيه، والنصارى من التثليث.

وقال -تعالى- في المنافقين: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۝١٤٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ

وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء:١٤٥، ١٤٦].

عن عثمان -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- يقول: «**إني لأعلم كلمة لا يقولها عبدٌ حقًّا من قلبه إلا حُرِّم على النار**»، فقال له عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنا أحدثك ما هي؟ هي **كلمة الإخلاص** التي ألزمها الله -تبارك وتعالى- محمدًا وأصحابه، وهي **كلمة التقوى** التي ألاص[1] عليها نبي الله -صلى الله عليه وسلم - عمَّه أبا طالب عند الموت: شهادة أن «لا إله إلا الله».

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو من نفسه**».

وعن عِتبان بن مالك -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إن الله حرَّم على النار من قال:**

(١) ألاص: أداره عليها وأرادها منه.

لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله -عزَّ وجلَّ-».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- قال: «**ما من عبد قال: لا إله إلا الله مخلصًا إلا فُتِحت لها أبوابُ السماء حتى تُفْضِيَ إلى العرش**».

(٨) الشهـادة

وتطلق «الشهادة» على كلمة التوحيد، وهي قولنا: «لا إله إلا الله» وتسمى عبارة: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله» بالشهادتين.

ومعناهما هنا متفرع عن مجموع (الإخبار والإقرار)، فإن معنى الشهادة هنا هو الإعلام والبيان لأمر قد عُلِمَ، والإقـرار: الاعـتراف بـه، وقـد نص ابـن الأنـباري على أن المعنى هو: «أعلم أن لا إله إلا الله. وأبيِّن أن لا إله إلا الله، وأعلم وأبيِّن أن محمدًا مُبَلِّغٌ للأخبار عن الله -عزَّ وجلَّ-».

وسُمِّي النطق بالشهادتين بالتشهد، وهو صيغة (تفعُّل) من الشهادة.

قال -تعالى-: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٨، ١٩].

تضمنت هذه الآية: أجلَّ شهادةٍ وأعظمها، وأعدلَها وأصدقَها، من أَجَلِّ شاهدٍ، بأَجَلِّ مشهود.

قوله: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾: الشهادة قد تكون بالقول، وقد تكون بالفعل. وشهادة الله -سبحانه وتعالى- لنفسه بانفراده بالألوهية هنا، كشهادته لرسوله -صلى الله عليه وسلم- بأنه أنزل عليه الكتاب بقوله: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ﴾ [النساء:١٦٦]؛ فقد شهد -عزَّ وجلَّ- هو وملائكته لنفسه بالوحدانية، ولنبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة، والشهادةُ في الموضعين قولية.

وأما الشهادة الفعلية: ففيما يُظهره الله -سبحانه وتعالى- من آياته؛ فكل الكائنات تشهد لله عزَّ وجلَّ بالوحدانية بلسان الحال، وكذلك تأييده لنبيه صلى الله

عليه وسلم بالنصر، وجَعْلُ العاقبة له، هو شهادة له بأنه رسول الله حقًّا.

ودلت الآية الكريمة على أنه وحده هو المستحق للعبادة، فإذا أخبر أنه وحده المستحق للعبادة تضمن هذا الإخبارُ أمرَ العباد، وإلزامَهم بأداء ما يستحقه الرب -تعالى- عليهم، وأن القيام بذلك هو خالص حَقِّه عليهم، فإذا شهد -سبحانه- أنه لا إله إلا هو؛ تضمنت شهادتُه الأمرَ والإلزامَ بتوحيده.

قوله -تعالى-: ﴿ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ [آل عمران:١٨].

فهو -عز وجل- قائم بالقسط في هذه الشهادة التي هي أعدل شهادة على الإطلاق، وإنكارها وجحودها أظلم الظلم على الإطلاق، فلا أعدل من توحيد الرسل، ولا أظلم من الشرك. فهو سبحانه قائم بالعدل في هذه الشهادة قولًا وفعلًا، حيث شهد بها وأخبر، وأعلم عباده وبَيَّن لهم تحقيقها وصحتها، وألزمهم بمقتضاها، وحكم به، وجعل الثواب والعقاب عليها، وجعل الأمر والنهي من حقوقها وواجباتها.

فالدين كله من حقوقها، والثواب كله عليها، والعقاب كله على تركها. وهذا هو العدل الذي قام به الرب -تعالى- في هذه الشهادة ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦].

فتضمنت هذه الآية وهذه الشهادة: وحدانيته المنافية للشرك، وعدلَه المنافيَ للظلم، وعزته المنافية للعجز، وحكمته المنافية للجهل والعيب.

ففيها: الشهادة له بالتوحيد والعدل والقوة، والعلم والحكمة، ولهذا كانت أعظم شهادة.

(٩) كلمة الله العليا

قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٤٠].

قال شيخ المفسرين الطبري -رحمه الله-:

«يقولُ -تعالى ذكرُه-: فأنزَل اللهُ طُمَأنينتَه وسُكونَه على رسولِه. وقد قيل: على أبي بكرٍ. ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾. يقولُ: وقَوَّاه بجنودٍ مِن عندِه من الملائكةِ لم تَرَوْها أنتم، ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: وهي كلمةُ الشِّرْكِ، ﴿ٱلسُّفْلَىٰ﴾: لأنها قُهِرَت وأُذِلَّت، وأبطَلَها اللهُ تعالى ، ومَحَق أهلَها، وكلُّ مَقْهورٍ ومَغْلوبٍ فهو أسْفلُ مِن الغالبِ، والغالبُ هو الأعْلى، ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾. يقولُ: ودينُ اللهِ وتوحيدُه وقولُ لا إلهَ إلا اللهُ، وهي كلمتُه، ﴿هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾: على الشِّرْكِ وأهلِه، الغالِبةُ.

كما حدَّثني المُثَنَّى، قال: ثنا أبو صالحٍ، قال: ثني معاويةُ، عن عليٍّ، عن ابنِ عباسٍ قولَه: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾: وهي الشِّرْكُ باللهِ، ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾: وهي لا إلهَ إلا اللهُ.

وقولُه: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾. خبرٌ مبتدأ،

غيرُ مردودٍ[1] على قولِه: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ﴾؛ لأن ذلك لو كان معطوفًا على الكلمةِ الأولى لكان نَصْبًا[2].

وعن أبي موسى -رضي الله عنه- قال: جاء رجلٌ إلى النبيِّ -صلى الله عليه وسلم-، فقال: الرجلُ يُقاتِلُ شجاعةً، ويُقاتِلُ حَمِيَّةً، ويُقاتِلُ رياءً، فأيُّ ذلك في سبيل اللهِ؟ قال: «**مَن قاتَل لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العليا، فهو في سبيلِ اللهِ**» [متفق عليه].

(١٠) الكلمة الطيبة

قال الله -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ

(١) فالواو هنا ليست عاطفة بل حالية، و﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ مبتدأ، و﴿هِىَ﴾ ضمير فصل أو مبتدأ، ﴿ٱلْعُلْيَا﴾ خبرُ ﴿كَلِمَةُ﴾، أو خبر ﴿هِىَ﴾، وجملة ﴿هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ خبرُ ﴿كَلِمَةُ﴾.

(٢) فالرفع في ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ يعطي معنى التقرير، لأن كلمة الله هي العليا طبيعةً وأصلًا، بدون تصييرٍ متعلقٍ بحادثة معينة، وانظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٣٨).

﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٦].

عن ابنِ عباسٍ في قولِه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾: شهادةُ أن لا إلـهَ إلا اللهُ، ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾[1]، وهو المؤمنُ، ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾. يقولُ: لا إلهَ إلا اللهُ ثابتٌ في قلبِ المؤمنِ، ﴿وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ يقول: يُرفع بها عملُ المؤمنين إلى السماء».

فإذا شهد العبد المؤمن بكلمة «لا إله إلا الله» عارفًا

(١) وصح في الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أن الشجرة الطيبة هي النخلة: فقد روى الشيخان في (صحيحيهما) عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن من الشجر شجرةً لا يسقط ورقُها، وإنها مثل المسلم، فحدِّثوني ما هي؟» فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبدالله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدِّثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «هي النخلة» الحديث.
وفي رواية للبخاري: فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إن من الشجر لَمَا بركته كبركة المسلم».

بمعناها وحقيقتها نفيًا وإثباتًا، متصفًا بموجبها، قائمًا قلبه ولسانه وجوارحه بشهادته، فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل من هذا الشاهد، أصلها ثابت راسخ في قلبه، وفروعها متصلة بالسماء، وهي مُخْرِجةٌ ثمرتَها كلَّ وقت».

(١١) كلمة الاستقامة

قال -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

ذهب فريق من المفسرين إلى أن المقصود: الذين أقروا بربوبية الله وتوحيده وما يقتضيه من عمل الصالحات، ثم ثبتوا على ذلك حتى الممات، ولم يَلْبِسوا هذا التوحيدَ والإيمان بشرك ينقضه ويقدح فيه.

فقد أخرَج البيهقيُّ في «الأسماء والصفات» عن ابنِ عباسٍ

في قولِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾: «قال: على شهادةِ أن لا إلهَ إلا اللهُ».

وأخرَج عبدُ بنُ حميدٍ عن ابنِ عباسٍ، أنه سُئِلَ: أيُّ آيةٍ في كتابِ اللهِ أرجَى؟ قال: قولُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾: على شهادةِ أن لا إلهَ إلا اللهُ.

وأخرج عبدُ بنُ حميدٍ عن إبراهيمَ، ومجاهدٍ في قولِه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾. قالا: قالوا: لا إلهَ إلا اللهُ، لم يُشْرِكُوا بعدَها باللهِ شيئًا حتى يَلْقَوه.

وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «يا وليَّ الإسلام وأهلِه مَسِّكْني الإسلامَ حتى ألقاك عليه».

وقالَ -صلى الله عليه وسلم-: «إنما الأعمال بالخواتيم».

وقال الإمام أحمد: سمعت شعيب بن حرب يقول لرجل: «إن دخلتَ القبر ومعك الإسلام فأبشر».

(١٢) كلمة النجاة

قص الله -تعالى- في كتابه المجيد قولَ مؤمنِ آل فرعون: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾

﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ [غافر:٤١، ٤٢].

ولاشك أن النجاة في الإتيان بالركن الأعظم من الإسلام وهو شهادة أن لا إله إلا الله، إذ بها ينجو المؤمن من عذاب الله وعقوبته، عن مجاهد قال: ﴿مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ﴾ الإيمانُ بالله.

فكان يدعوهم إلى النجاة من النار، وهم يدعونه إلى النار.

وقال -تعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨]. وهذا يدل على أن النجاة لا تحصل بدون الإيمان بـ «لا إله إلا الله»، وتحصل مع الإيمان بها.

ولأنها «**كلمة النجاة**» فزع إليها الوليُّ لما جاءته المحنة، قال تعالى في شأن نبيه يونس -عليه السلام-: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ

نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧].

ولأنها «**كلمة النجاة**» فزع إليها العدو -فرعون- لما قَرُبَ من الغرق فقال: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ الآية [يونس:٩٠]، فآمن حيث لا ينفعه الإيمان؛ لأنه إيمان لا عبرة به لحصوله وقت الغرغرة ونزول العذاب، ولذلك أُجيب: ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ الآية [يونس:٩١].

ولذلك أيضًا لم ينج الكفار الذين تشبثوا بها حين رأوا بأس الله قد نزل بهم، قال الله -تعالى-: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر:٨٤، ٨٥].

- و «لا إله إلا الله» تُنَجِّي قائلها من سوء الخاتمة -عياذًا بالله منها- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله، وجبت له الجنة». وقال -صلى الله عليه وسلم-: «من قال: (لا إله إلا الله) ابتغاء

وجه الله خُتم له بها دخل الجنة» الحديث.

- و «لا إله إلا الله» نجاة من النار، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله صِدْقًا من قلبه إلا حرَّمه الله -تعالى- على النار».

- و «لا إله إلا الله» نجاة من الخلود في النار لمن دخلها من الموحِّدين الذين كان لهم ذنوب، وماتوا دون أن يتوبوا منها، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من قال: لا إله إلا الله، أنجته يومًا من دهره، أصابه قبل ذلك ما أصابه».

(١٣) كلمة الفلاح

الفلاح هو: الظفر، والفوز بالبُغْيَةِ، وهو نوعان:

- دنيوي: وهو نيل الأسباب التي بها تطيب الحياة، وهي: البقاء، والغِنى، والعِز.

وأُخرويٌّ: وهو بقاءٌ بلا فناء، وغنىً بلا فقر، وعز بلا ذل، وعلم بلا جهل، ولهذا قال -صلى الله عليه وسلم-:

«**اللهم لا عيشَ إلا عيشُ الآخرة**».

ومعنى قول المؤذن: «حيَّ على الفلاح»: هَلُمُّوا إلى سبب البقاء في الجنة، والفوز بها، وهو الصلاة في الجماعة.

وقد قال الله -تعالى-: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:١]، وركن الإيمان الأعظم هو شهادة أن لا إله إلا الله.

وقال -عزَّ وجلَّ- في المؤمنين ﴿أُولَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

وقال -سبحانه-: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى:١٤]. وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩] وتزكية النفس بلا إله إلا الله أعظم التزكية.

وقال -تبارك وتعالى-: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٢].

ونفى الله -عزَّ وجلَّ- الفلاحَ عمن استكبروا عن شهادة التوحيد، فقال -عزَّ وجلَّ-: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧].

وقال حكاية عن أصحاب الكهف: ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف:٢٠].

وعن ربيعة بن عِبَاد الدِّيلي وكان جاهليًّا أسلم، قال: رأيتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بَصَرَ عيني بسوق ذي المَجَاز يقولُ: «**يا أيُّها النَّاسُ قولوا: لا إله إلا الله، تُفْلِحُوا**» ويدخُلُ في فِجاجها، والناسُ مُتَقَصِّفونَ[1] عليه، فما رأيتُ أحدًا يقولُ شيئًا، وهو لا يسكتُ يقولُ: «**أيُّها النَّاسُ قولوا: لا إله إلا الله، تفْلِحُوا**» الحديث.

وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**قد أفلح من أسلم، ورُزق كَفافًا، وقنَّعه الله بما آتاه**».

(١٤) الكلمة الباقية

قال -تعالى-: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا

(١) **مُتَقَصِّفونَ عليه**: أي مجتمعون عليه تعجبًا مما يقول.

كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨].

قال ابن جرير -رحمه الله-: «وقولُه: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ ﴾. يقول جلَّ ثناؤه: وجعل قولَه ﴿ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾. -وهو قولُ: لا إلهَ إلا اللهُ- كلمةً باقيةً في عقبِه، وهم ذُرِّيتُه، فلم يزلْ في ذُرِّيتِه مَن يقولُ ذلك مِن بعده».

وعن قتادةَ في قولِه: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ ﴾. قال: «التوحيدَ والإخلاصَ، ولا يزالُ في ذُرِّيتِه من يُوَحِّدُ اللهَ ويعبدُه».

وقال ابن قيم الجوزية -رحمه الله-: «أي: جعل هذه الموالاة لله والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية في عقبه يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض وهي كلمة: لا إله إلا الله، وهي التي ورَّثها إمامُ الحنفاء لأتباعه إلى يوم القيامة».

(١٥) كلمة التقوى

قال الله -تعالى-: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ

﴿ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح:٢٦].

عن أُبَيِّ بنِ كعب -رضي الله عنه-، عن النبيِّ -صلى الله عليه وسلم-: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾. قال: «لا إله إلا الله».

وعن عثمانَ -رضي الله عنه- قال: سمعتُ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- يقولُ: «**إني لأعلمُ كلمةً لا يقولُها عبدٌ حقًّا من قلبه إلا حرَّمه الله على النارِ**». فقال عمرُ بنُ الخطابِ: أنا أُحَدِّثُكم ما هي، كلمةُ الإخلاصِ التي ألزَمها اللهُ محمدًا وأصحابَه، وهي كلمةُ التقوى التي أَلاصَ[1] عليها نبيُّ اللهِ عمَّه أبا طالبٍ عندَ الموتِ؛ شهادةُ أنْ لا إله إلا الله.

وعن ابنِ عباسٍ -رضي الله عنهما-: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال: «شهادةَ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وهي

(١) تقدم معناها ص (١٧).

رأسُ كلِّ تَقْوَى».

وقال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية -رحمه الله-: «لما كانت حمية الجاهلية توجب من الأقوال والأعمال ما يناسبها، جعل الله في قلوب أوليائه السكينة تقابل حمية الجاهلية، وفي ألسنتهم كلمة التقوى مقابلة لما توجبه حمية الجاهلية من كلمة الفجور؛ فكان حظ المؤمنين السكينة في قلوبهم، وكلمة التقوى على ألسنتهم، وحظ أعدائهم حمية الجاهلية في قلوبهم، وكلمة الفجور والعدوان على ألسنتهم، فكانت هذه السكينة وهذه الكلمة جندًا من جند الله أيَّدَ بها رسولَه والمؤمنين في مقابلة جند الشيطان الذي في قلوب أوليائه وألسنتهم».

(١٦) كلمة الصدق

الشرك كذب على الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النحل:١٠٥] وقال تعالى على لسان هود -عليه السلام-: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا

مُفْتَرُونَ ﴾، وكل ما يعبده المشركون من دون الله مجرد أسماء كاذبة مفتراة، ولذلك وبَّخهم اللهُ تعالى فقال في حق أوثانهم: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ الآية [النجم:٢٣].

وهم آلهة في نفوس المشركين بهم فقط، وليسوا آلهة في نفس الأمر، قال إبراهيم -عليه السلام- لقومه: ﴿ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ [الصافات:٨٥]، ولذلك وصف الله المشركين في قوله -عز وجل-: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ﴾ [الزمر:٣٢]، ثم أتبعه بمدح الموحِّدين بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر:٣٣] وهذا يَعُم كل رسول دعا إلى «لا إله إلا الله» الذي هو «الصدق»، ويعم كل من آمن بالرسل واتبعهم وصَدَّقهم فيما دَعَوْا إليه، وانقاد للشرع الذي بُعثوا به.

قال ابن عباس: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ ﴾ يقول: من جاء بـ «لا إله إلا الله»، ﴿ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ يعني رسولَه، ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ

هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ يقول: اتَّقَوْا الشركَ.

ولأن «لا إله إلا الله» كلمة الصدق؛ يُصَدِّق الله -سبحانه وتعالى- عبده المؤمن إذا قالها كما دلَّ عليه قولُ الصادق المصدوق -صلى الله عليه وآله وسلم- : «إذا قال العبد: لا إله إلا الله، والله أكبر، صَدَّقَه ربُّه. قال: صَدَقَ عبدي، لا إله إلا أنا، وأنا أكبر» إلى آخر الحديث.

(١٧) كلمةُ السواء

قال الله -عزَّ وجلَّ- : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٦٤].

قال أبو العالية ومجاهد: كلمة السواء: لا إله إلا الله.

وقال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: «هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومَن جرى مجراهم: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ ﴾،

والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما قال ها هنا، ثم وصفها بقوله: ﴿سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾، أي: عدل ونَصَف، نستوي نحن وأنتم فيها، ثم فسَّرها بقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾؛ لا وثنًا، ولا صنمًا، ولا صليبًا، ولا طاغوتًا، ولا نارًا، ولا شيئًا. بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له. وهذه دعوة جميع الرسل؛ قال الله -تعالى- : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقال -تعالى- : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]. ثم قال -تعالى- : ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ قال ابن جريج: يعني يطيع بعضنا بعضًا في معصية الله، وقال عكرمة: يعني يسجد بعضنا لبعض. ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، أي: فإن تولوا عن هذا النَّصَف وهذه الدعوة فأشهدوهم أنتم على استمراركم على الإسلام الذي شرعه الله لكم.» ا هـ.

وقال الرازي -غفر الله له-: «قال الله -تعالى- : ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ قال أبو العالية الرياحي: هي كلمة «لا إله إلا الله». والدليل عليه أنه -تعالى- قال بعده: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾. ولا معنى لهذه الآية إلا ما هو المراد من قول: «لا إله إلا الله». فثبت أن المراد من كلمة السواء هو كلمة «لا إله إلا الله». ا هـ.

(١٨) كلمة العدل

قال الله -عزَّ وجلّ-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠].

قال ابن عباس في تفسير «العدل»: شهادة أن لا إله إلا الله. والعدل هنا هو السَّواء في قوله -تعالى-: ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾، قاله قتادة.

وقال الإمام الطبري -رحمه الله-: «يقول -تعالى ذكرُه-: إن الله يأْمُرُ في هذا الكتابِ الذي أنزَله إليك يا محمدُ

﴿بِٱلْعَدْلِ﴾، وهو الإنصافُ، ومن الإنصافِ الإقرارُ بمَن أنْعَم علينا بنعمته، والشكرُ له على أفضالِه، ونُولِي الحمدَ أهلَه، وإذا كان ذلك هو العدلَ، ولم يَكُنْ للأوثانِ والأصنامِ عندَنا يدٌ تَسْتَحِقُّ الحمدَ عليها؛ كان جهلًا بنا حمدُها وعبادتُها، وهي لا تُنْعِمُ فتُشْكَرَ، ولا تَنْفَعُ فتُعْبَدَ، فلزِمنَا أن نشْهَدَ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، ولذلك قال مَن قال: العدلُ في هذا الموضعِ: شهادةُ أن لا إلهَ إلا اللهُ».

(١٩) العروة الوثقى

قال الله -تعالى-: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦].

العروة: طرف الحبل إذا رُبط على هيئة الحَلْقَة، يُمْسِك بها مَن ينزل في بئرٍ أو يصعد منها، والمراد بها هنا: وسيلة النجاة، والوثقى: شديدة الربط، لا أوثق منها. ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ أي: لا انحلال لها، فلا يَهْلِكُ المتعلقُ بها، بل يصل

بتمسكه بها إلى الجنة، ولا ينقطع عن الجنة إلا من لم يتمسَّكْ بها.

قال الطبري في تأويل الآية: «﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ فمن يَجْحَدْ رُبوبيَّةَ كلِّ معبودٍ من دونِ اللهِ، فيَكْفُرْ به ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ يقولُ: ويُصدِّقْ بالله أنه إلهُه وربُّه ومعبودُه دون غيرِه، ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ يقولُ: فقد تمسَّك بأَوثقِ ما يَتَمَسَّكُ به مَنْ طلَب الخلاصَ لنفسِه مِنْ عذابِ اللهِ وعقابِه».

وعن سعيد بن جبير والضحاك قالا: العروة الوثقى: لا إله إلا الله. وقال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان:٢٢].

عن ابن عباس قال: لا إله إلا الله.

وعن مجاهد قال: الإيمان، وفي لفظ: كلمة الإخلاص.

(٢٠) المَثَلُ الأعلى

قال الله -تعالى-: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ الآية [النحل:٦٠]،

وقال -عز وجل-: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية [الروم:٢٧].

ومعنى المَثَل هنا: الصفة، مثل قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ الآية [الروم:٢٧].

قال الطبري: «يقول: ولله المثل الأعلى، وهو الأفضل والأطيب، والأحسن والأجمل، وذلك التوحيد، والإذعانُ له بأنه لا إله غيره».

فـ «لا إله إلا الله» أعلى وأكمل وأفضل ما يوصف به الله، ولذلك تصدرت صفاتِه تعالى في أعظم آية في القرآن -آية الكرسي- التي تمحضت لذكر صفات الرب العليا وأسمائه الحسنى.

قال ابن عباس وقتادةَ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: شهادةُ أن لا إلهَ إلا اللهُ.

و﴿ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أفعل تفضيل أي: أعلى من غيره، فيستحيل أن يشترك في المثل الأعلى اثنان، ويستحيل أن يكون لمن له المثلُ الأعلى مِثل أو نظير.

(٢١) شهادة الحق

قال الله -تعالى-: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦].

قال مجاهد: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾: كلمة الإخلاص، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أن الله حق.

لأن معنى «لا إله إلا الله»: لا معبود بحقٍّ إلا الله، وخبر «لا» محذوف لأنه معلوم لدى السامع، ولا يمكن تقديره بـ «موجود» لأن المشركين لم ينازعوا في وجود إله مع الله -عز وجل- وإنما نازعوا في أحقية الله -سبحانه- بالعبادة دون غيره، ولذلك قرن -تعالى- بين أحقيته للعبادة، وبطلان عبادة ما سواه في قوله تبارك وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢] الآية.

(٢٢) دعوة الحق

قال -تعالى-: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾، قال ابن عباس وغيره:

«شهادة أن لا إله إلا الله». ومعناها الحصر، أي له دعوة الحق لا لغيره.

وقال ابن زيد: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾: «لا إله إلا الله، ليست تنبغي لأحد غيره.

وقال ابن القيم: «إنه -تعالى- صاحب دعوة الحق لذاته وصفاته، فهو أهل أن يُعبد وحده، ويُدعى وحده، ويُقصَدَ ويُشكر ويُحمد، ويُحب ويُرجى ويُخاف، ويُتوكل عليه، ويُستعان به، ويُستجار به، ويُلجأ إليه، فتكون الدعوة الإلهية الحقُّ له وحده». اهـ.

(٢٣) العهد

قال -سبحانه-: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم:٨٥-٨٧].

قال ابن كثير: «هذا استثناء منقطع، بمعنى: لكن من اتخذ عند الرحمن عهدًا، وهو شهادة أن لا إله إلا الله،

والقيام بحقها» اهـ.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما-: «لما قالت اليهود ما قالت[1]، قال الله لمحمد -صلى الله عليه وسلم- ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾ [البقرة:٨٠] يقول: أدَّخرتم عند الله عهدًا. يقول: أقلتم: لا إله إلا الله، لم تُشركوا، ولم تكفروا به، فإن كنتم قلتموها فارجُوا بها، وإن كنتم لم تقولوها فَلِمَ تقولون على الله ما لا تعلمون».

(٢٤) الإحسان

قال الله -تعالى-: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن:٦٠].

عن ابنِ عباسٍ قال: «هل جزاءُ من قال: لا إلهَ إلا اللهُ في الدنيا إلا الجنةُ في الآخرة؟!».

وعن قتادة قال: «﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾. قال: شهادةُ أن

(١) يعني ما جاء في قوله -تعالى-: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ الآية [البقرة:٨٠].

لا إلهَ إلا اللهُ[1]، ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾. قال: الجنةُ، ﴿وَزِيَادَةٌ﴾. قال: النظرُ إلى وجهِ اللهِ».

(٢٥) الحسنة

قال الله -تعالى-: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩].

قال ابن عباس: «من جاء بلا إله إلا الله» وقال حذيفة: «من جاء بلا إله إلا الله وجبت له الجنة، ومن جاء بالشرك وجبت له النار».

و «أل» في الحسنة للعهد لا للجنس، أي: الحسنة المعهودة المعينة وهي «لا إله إلا الله»، و«مِن» في قوله ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ سببية، أي: فله خير وثواب بسببها، فـ «خير» هنا هو ما يقابل الشر، لأنه لا شيء خير من «لا إله إلا الله»، ولذلك قال الحسن في تفسيرها: «من جاء بلا إله إلا الله؛ فله منها خير».

(١) والدليل على أن «لا إله إلا الله» هي الإحسان أنه لو قال ذلك ومات، ولم يتفرغ لعمل آخر دخل الجنة.

وعن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: قلت يا رسول الله، أوصني. قال: «**إذا عَمِلتَ سيئةً فأَتْبِعها حسنةً تَمْحُها**». قال: قلت: يا رسول الله، أَمِنَ الحسناتِ: لا إله إلا الله؟ قال: «**هي أفضل الحسنات**»[1].

(٢٦) الحسنى

قال الله -تعالى-: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-٧].

قالوا في تفسير: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾: بلا إله إلا الله.

وفي قوله بعدها: ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾: وكذَّبَ بلا إله إلا الله.

فـ «لا إله إلا الله» هي الكلمة الحُسْنَى مفرد يأتي بكل جمع، لأن التصديق الحقيقي بها يستلزم التصديق بشُعَبها وفروعها كلها، وجميعُ أصولِ الدين وفروعه من شُعب هذه الكلمة، كأركان الإيمان الستة، وأركان الإسلام الخمسة،

(١) قال محققو «المسند»: «حسن لغيره»اهـ. من «تحقيق المسند» (٣٥/ ٣٨٥،٣٨٦) حديث رقم [٢١٤٨٧].

والتصديقُ بها يقتضي الإذعان والإقرار بحقوقها، وهي شرائع الإسلام التي تفصِّل هذه الكلمة.

والتصديق بالحسنى تصديق بالإيمان وجزائه الأخروي -وأعلاه الجنة-، والدنيوي وهو الخَلَف على من أعطى وبذل لوجه الله تعالى.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

الفهرس

مقدمة ٣
(١) الطيب من القول ٥
(٢) القول الثابت ٦
(٣) القول الصواب ٨
(٤) القول السديد ٩
(٥) كلمة التوحيد ٩
(٦) الدين الخالص ١٢
(٧) كلمة الإخلاص ١٣
(٨) الشهادة ١٧
(٩) كلمة الله العليا ٢٠
(١٠) الكلمة الطيبة ٢٢
(١١) كلمة الاستقامة ٢٤
(١٢) كلمة النجاة ٢٥

(١٣) كلمة الفلاح ٢٨
(١٤) الكلمة الباقية ٣٠
(١٥) كلمة التقوى ٣١
(١٦) كلمة الصدق ٣٣
(١٧) كلمةُ السواء ٣٥
(١٨) كلمة العدل ٣٧
(١٩) العروة الوثقى ٣٨
(٢٠) المَثَلُ الأعلى ٣٩
(٢١) شهادة الحق ٤١
(٢٢) دعوة الحق ٤١
(٢٣) العهد ٤٢
(٢٤) الإحسان ٤٣
(٢٥) الحسنة ٤٤
(٢٦) الحسنى ٤٥
الفهرس ٤٧